سلاطين المماليك في الهند ودورهم في العمارة الإسلامية (603-933هـ/ 1206-1526م)

Mamluk sultans in India and their role in Islamic architecture (603-933 AH / 1206-1526 AD)

Les sultans Mamalouken en Inde et leur rôle dans l'architecture islamique (603-933 AH / 1206-1526 AD)

د. معمر جعيرن

جامعة عمار ثليجي الاغواط

تاريخ الإرسال: 18-04-2020 - تاريخ القبول: 24-12-2022 - تاريخ النشر: 13-06-2023

ملخص

تعد العمارة الإسلامية في مقدمة أنواع العمائر العالمية، ومفخرة للتراث الإسلامي في شتي بلاد العالم الإسلامي، بفضل ما قدمته عمارة الإسلام من تنوع في البناء وشمول في عناصر الإبداع الفني والجمالي ، وقد عالجت في هذا العنوان العمارة الهندية ودور سلاطين المماليك فيها ، وكان هدفي من هاته الدراسة هو ابراز الدور الذي لعبه سلاطين المماليك في العمارة الاسلامية بالهند ، وتطرقت فيه بالتعريف بأهم السلاطين وابرز العمائر ، مثل القصور والدور ، وكذلك اعتنائهم ببناء المساجد ، وفي الاخير توصلت الى بعض النتائج أهمها: هو الدور الذي لعبته هاته العمائر في نشر الاشعاع الديني والثقافي للمسلمين في داخل البلاد وخارجها ومن النتائج كذلك اعتناءهم بتشييد المدارس والاهتمام بها وهذا كله بفضل الدور البارز الذي لعبه سلاطين المماليك .

الكلمات الدالة: العمارة الإسلامية؛ الهند؛ المماليك؛ الثقافة الإسلامية؛ المساجد؛ المدارس.

Abstract

Islamic architecture is considered at the forefront of the types of global buildings, and it is a source of pride for the Islamic heritage in various countries of the Islamic world. This is due to the diversity of the construction techniques and the inclusion in the elements of artistic and aesthetic creativity in Islamic architectural design. The focus of this study is to shed light on the significant role played by the Mamluk sultans in the development of Islamic architecture in India. It introduced the most important sultans and their architectural contributions, including palaces and houses, as well as their care for building mosques. The main conclusions of the study are the role that these buildings played in spreading the religious and cultural radiation of Muslims Inside and outside the country, and the prominent role played

by the Mamluk Sultans in the construction of schools, advancing knowledge and education.

Keywords: Islamic architecture; India; Mamluk; Islamic culture; mosques; schools.

Résumé

L'architecture islamique est considérée à la pointe des modèles architecturaux mondiaux. Grace à sa diversité architecturale et à son innovation esthétique et artistique, elle est une fierté pour le patrimoine islamique dans divers pays du monde islamique. Partant de constat, nous consacrerons la présente contribution à l'étude du rôle des Sultans Mamelouks dans le développement de l'architecture islamique en Inde. Notre commencerons par la présentation de ces sultans mamelouks et des bâtiments les plus importants, tels que les palais, les maisons et les mosquées. Nos conclusions mettent en exergue rôle que jouent ces bâtiments en matière de diffusion du rayonnement religieux et culturel des musulmans dans les différents pays, rôle soutenu et consolidé par construction par les sultans Mamelouks des écoles.

Mots-clés: architecture islamique; inde; Mamluks; culture islamique; mosquées; écoles

مقدمة

شهد العالم الاسلامي بروز العديد من السلاطين كان لهم دورا بارزا في الارتقاء بالعمارة الاسلامية التي شهدتها ربوع ديار الاسلام عبر كل فتراتها، وكانت مفخرة للتراث الإسلامي ولعبت دورا هاما في ترسيخ دعائم هذا الدين في البلاد الهندية. فقد كانت العمارة الإسلامية على اختلاف تنوعها ووظائفها تشكل وحدة معمارية ذات طابع واحد لا تخطئه العين في أي بلد من بلاد العالم الإسلامي والتي كانت طابع واحد وأغراض متعددة وعناصر معمارية مبتكرة وقيمة جمالية رائعة، أنها قدرة مهندس وبناء وصانع وفنان. قدرات ومهارات اجتمعت لتشكل معا وحدة فنية في طابع مدرسة الفن الإسلامي. وإذا العمائر الإسلامية مختلفة في تفاصيلها المعمارية والزخرفية من بلد إلى آخر، فقد بلغت بالهند درجة رفيعة من الروعة والرقي، ويدل على ذلك مسجد آجمير ومسجد القطب بدهلي ومنارته، وكثير من المدارس والبيمارستانات التي نجت من تخريب الحروب.

وكان من الطبيعي أن يستخدم الحكام المسلمون رجال المعمار من أبناء الهند في إقامة منشآتهم، فقد كان للعمارة الهندية القديمة سوق رائجة تدل عليها آثارها القديمة الخالدة، فجاءت الأنماط الهندية في نواتها. على أن هؤلاء الفنانين حرصوا في تصميماتهم، بتوجيه من حكامهم، على أن توائم النهج الإسلامي، وتساير التطور الفني

في البلاد الإسلامية، دون أن يطغي شيء من ذلك كله على طابعها الأصيل، فأضيفت النقوش والزخارف العربية والفارسية إليها.

وقد كان النموذج الإسلامي لصناعة العمارة أمام أعين الوافدين، فكانوا يعرفون هيئة المسجد أو المقبرة حتى كانوا يعرفون بتكنيك بناء هذه المباني، فقد أنس أهالي بلادهم صورة المحراب والقبة قبل ورودهم الهند، فكان البحث عن البنائين وتعليمهم كيفية بناء المسجد، حيث كان البناء الهندوسي لا يعرف إلا بناء المعبد الوثني.

بهرت العمارة الهندية السلطان محمود الغزنوي من قبل، فزين غزنة بأجمل ما حصل عليه من مغانم الهند، وأعاد تشييد مسجدها الجامع على أحسن صورة، وأضاف إلى المسجد مدرسة وثم نجد الغازي تيمور لنك من بعده يصحب معه إلى عاصمته سمرقند مئات من رجال المعمار الهنود والصناع المهرة، حيث يعهد إليهم بإقامة منشآت كبيرة، كان من بينها مسجدها الجامع (مزار شاه).

وتكمن أهمية دراسة موضوع العمارة الاسلامية في الهند هو إبراز الدور الذي لعبه سلاطين دلهي في ترسيخ دعائم الدين الاسلامي من خلال اعتناءهم بالجانب العمراني الاسلامي ومن هنا يطرح علينا الإشكال التالي ما الدور الذي لعبه سلاطين المماليك في الاعتناء بهذا الجانب واعطائه اهمية كبرى في فترات حكم كل سلطان؟ وكيف كان تأثير هاته العمائر في ترسيخ دعائم الديانة الاسلامية في شبه القارة الهندية ككل؟ وهنا يبرز الهدف في تسليط الضوء على تأثير الثقافة الاسلامية في الثقافة الهندوسية وفي دينها وعقائدها وفي فنونها وفي عماراتها.

وهنا نقول انه يرجع الفضل كل الفضل الى المسلمين الفاتحين الذين أظهروا تراثها للعالم منذ فجر الاسلام ومطلعه. وقد اعتمدت على المنهج التاريخي التحليلي الوصفي بالاعتماد على المصادر والمراجع التي لها علاقة مباشرة بالموضوع.

1. التعريف بالسلاطين

- **قطب الدين أيبك (602هـ/1206م:607هـ/1210م):** كان أحد مماليك معز الدين محمد سام غوري المشهور بـ(شهاب الدين الغوري)، وقد جلب من تركستان في صغره، فاشتراه أحد القضاة في نيسابور (فخر الدين عبد العزيز الكوفي)، علمه القرآن مع أبنائه، وعنى بتربيته وتعليمه حتى تبحر في العلوم، وأكسبه الأدب، واشتراه بعد ذلك

تاجر بثمن مرتفع. وقدمه هدية إلى السلطان معز الدين في غزنين، فاشتراه بثمن باهظ، وعندما انكسر إصبعه الخنصر قالوا له (أيبك)، كان يخدم السلطان بإخلاص، لذا نال في فترة قصيرة القرب والاختصاص، وكان (قطب الدين) يلقب (سباه سالار) ومعناها مقدم الجيوش (الهروي نظام الدين، 1995، ص 54).

- **شمس الدين ألتمش (607هـ/1211م: 633هـ/1235م):** الملك المؤيد المظفر شمس الدين ألتمش بن أيلم خان الألبري التركماني السلطان الصالح. بعد وفاة قطب الدين اجتمع كبار رجال الدولة، واختاروا (شمس الدين ألتمش) سلطاناً وخلفاً لـ(قطب الدين)، وكان ذلك سنة 607هـ/1211م، وقد كان مملوكاً لـ(قطب الدين)، جلب في صغره إلى بخارى وبقي ينتقل من سيد إلى سيد، حتى اشتراه (قطب الدين)، ورباه في مهد السلطنة، وأخذ يتدرج في المناصب، حتى صار أميرًا في الجند، وزوجه السلطان بابنته، ولما مات (قطب الدين) استبدله بالملك، وأخذ الناس بالبيعة. (الحسن، 1962، ص126)

- **علاء الدين الخلجي (695-715هـ)/(1296-1316م):** هو ثاني السلاطين الخلجيين ، استولى على الحكم بعد غدره بعمه فيروز شاه ، الذي كان يريد ان يورث السلطان لابنه، ولما استقرت الامور لعلاء الدين بدا يتجه لأمور دولته ، فقد عنى بالنواحي الاجتماعية وكذا بالشؤون الحربية للدولة ، ولم تشأ الحوادث أن تمهل أبناء السلطان علاء الدين الخلجي ليحكموا طويلاً، فبعد سنوات قليلة من وفاته سنة 716هـ/1316م لم يكن يمثل الأسرة إلا وزراء مستبدين اغتصبوا العرش وأساءوا السيرة في البلاد وسفكوا الدماء البريئة حتى لجأ الرعايا إلى تغلق الذي خلصهم من الاستبداد والظلم الواقع عليهم، فنادوا به مع العساكر والنبلاء ملكاً عليهم وقدموا له فروض الطاعة. فجلس على عرش دهلي وتلقب بغياث الدين تغلق شاه وذلك في شعبان سنة 721هـ/1321م التي انتهى فيها أمر سلاطين الأسرة الخلجية وانتقل الملك إلى أسرة تركية هي أسرة تُغلق، وتغلق هذا من الأتراك المعروفين بالقرونة الذين يقطنون بالجبال بين بلاد السند والترك، وقد ذكر ابن بطوطة أن آل تغلق قد وفدوا الى الهند قادمين من خراسان أيام السلطان علاء الدين الخلجي. (Lane, 1903, p. 116)

- **فيروز شاه تغلق (752-790هـ/1351-1388م):** عندما توفي السلطان محمد تغلق خلفه ابن عمه فيروز شاه تغلق فنقل العاصمة إلى كلبركة واستطاع التوسع بالبلاد إلى

إقليم ما وراء النهر فكانت فتوحاته موضع إعجاب الخلافة في القاهرة فحذا حذو سلفه السلطان محمد تغلق واكتسب الصفة الشرعية بالحكم من الخليفة المعتضد بالله العباسي (753-763هـ/1352-1362م) الذي أجابه على طلبه وأرسل إليه خلعة مماثلة للخلعة التي أرسلت إلى السلطان محمد تغلق. (الفقي، 1987، ص 124)

- **غياث الدين تغلق شاه (720هـ/1321م: 725هـ/1325م):** قدم الي بلاد السند في خدمة بعض التجار في أيام السلطان (علاء الدين)، ودخل في خدمة (أولو خان) أمير السند إذ ذاك فظهرت شجاعته، وتدرج في سلك الفروسية، حتى صار أمير للخيل، ولما ولى (قطب الدين) ولاه مدينة (ديبالبور) وأعمالها، وعهد إلى ابنه (محمد تغلق) بإمارة الخيل وظل يشغل هذا المنصب في عهد السلطان (خسرو خان)، فلما استاء (تغلق) من (خسرو شاه)، الذي اغتصب العرش، وقتل السلطان، أعلن (تغلق) الثورة والخروج على الطاعة، ودخل (تغلق) القصر الملكي، وقدم الناس لمبايعته، وبذلك انتقل حكم سلطنة دلهي من الخلجيين إلى بني تغلق (الفقي، 1987، ص 402)

2. دور سلاطين المماليك في العمارة الاسلامية

عنى قطب الدين أيبك بالعمارة، ومن أبرز ما خلف مسجده المشهور الذي بدأ تشييده سنة 1191م، كما شيد مسجدا بأجمير. (الساداتي أحمد، 1957، ص 123) أولى السلطان (إيلتمش) العمارة عناية كبيرة، فأتم مسجد السلطان (قطب الدين أيبك) في دهلي، وشيد مسجدًا آخر في أجمير. كذلك نسب إلى السلطان (إيلتمش) بناء حوضين عظيمين خارج المدينة لتقديم مياه الشرب لأهالي دهلي (سديره، 2009، ص 125)، فقد لاقي في عهده فن العمارة بالهند ازدهارًا كبيرًا (الساداتي أحمد، 1957، ص 129). لم يتيسر لأي سلطان من سلاطين الهند، أن أقيم في عصره هذا القدر من العمارة، كما في عهد (علاء الدين خلجي)، حيث المساجد والمنارات والأحواض والقلاع، وأمثال ذلك لم تقع في أي عصر قط، كما لم يظهر في زمان قط، أهل فن ومهارة كما كان في عصره (الهروي نظام الدين، 1995، ص 145).

صادفت العمارة الإسلامية بالهند رواجًا كبيرًا على أيدي هذا السلطان، ويروي أن كل عمود من أعمدة قصر الألف بأساسه رأس مغولي من الذين أسرهم في حروبه معهم (الساداتي، 1957، ص 258). فقد كانت جملة خدمة سبعين ألفا، سبعة آلاف منهم كانوا بنائين . (الحسن، 1962، ص206)

وقد أكثر السلطان (فيروز شاه تغلق) من بناء المساجد والمدارس والمشافي والحمامات، وأوقف عليها أوقافا كثيرة بحيث صارت مجانية لمن يبغى العلم أو يريد التداوي والاستجمام (سديره، 2009، ص181)، كما أقام الجسور والقناطر وإنشاء الحدائق، (المنعم، 1981، ص 137) ففي عام 756هـ أوصل نهر من نهر ستلد إلى نهر جهجر، على مسافة ثمان وأربعين فرسخا.

وفي السنة الثانية أي 757هـ مد نهرًا من نهر جون الى نواحي مندل [1] وسرمورة، وأوصل سبعة أنهار أخرى به ومده الى هانسى، كما بنى قلعة في رالين، وأسماها قلعة (فيروزه)، وأقام أمامها قصرًا وحوضًا واسعًا، كان يمتلأ من نهر جون، وفرع نهرًا آخر من نهر كهكر، ومده حول قلعة سرستي، وأوصله حتى نهر كره، وبنى قلعة بينهما أسماها (فيروز آباد)، وفرع نهرًا آخر من بدهلى، وأوصله إلى الحوض الموجود أمام قلعة فيروزه (الهروي نظام الدين، 1995، ص190).

شهدت أرض الهند فتوحات إسلامية خالدة، ودولاً إسلامية عديدة، رفرفت راية الإسلام فوق تلك البقاع، وامتدت يد المسلمين تعمر وتبني المساجد، وارتفعت المآذن وشقت عنان السماء فوق دهلي ومدن إسلامية عديدة. فالدول الإسلامية التي تعاقبت على حكم الهند، وتسلمت راية الإسلام من بعضها البعض خلفت ورائها تراثاً معماريًا ضخماً (احمد،ج1، 1997، ص 9)، حيث أسس الملوك الجوامع والمساجد بالهند، كذلك أسس الأمراء في كل بلدة وقرية مسجدًا، وبذلوا أموالاً طائلة (الحسن، 1962، ص349)، فقد كانت العمائر الدينية والتي في مقدمتها المسجد، اللبنة الأولي في مجال العمارة الإسلامية (مصطفى، 1998، ص7).

3. المنشآت الفنية المعمارية

1.3 القصوروالدور

القصور والدور عادة ما تبني على ضفاف الأنهار أو وسط المدن أو في الأماكن الجميلة المطلوبة، وبالهند العديد من القصور والمنازل والاستراحات والحمامات، والتي تميزت بكثرتها، إذا ما قورنت ببعض الأقطار الإسلامية. (علي، 2006، ص 9). ويختلف تخطيط

[1]- مندل: مدينة بأرض الهند يكثر بها العود حتى يقال للعود المندل، وليس هي منبته، ولكن منبته جزائر وراء خط الاستواء، حيث يأتي به الماء إلى المدينة في الشمال. القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص82.

القصور بالهند بصفة عامة حسب الوظيفة التي تؤديها، فهناك الدواوين الملكية، والتي تنقسم بدورها إلى دواوين عامة ودواوين خاص مختلفة في تخطيطها حسب الدور الذي تؤديه، وقصور سكنية واستراحات ترفيهية. تتكون القصور السكينة من مجمعات كبيرة تضم عددا من الأفنية والقاعات والغرف والمطابخ في الغالب، وإلى جانب ذلك القصور الرسمية، وهناك القصور الترفيهية (الاستراحات)، وهي أيضا تستخدم في للإقامة والسكنى، إلا أن السمة الغالبة عليها هي التسلية والترفيه (علي، 2006، ص 226-227). وسوف نتناول نماذج لتلك القصور.

1.1.3 القصر الهرمي

يعد القصر الرئيسي في قلعة فيروز شاه تغلق، ويوجد في الجهة الشرقية من القلعة، وقد شيد هذا القصر حول تلة صخرية هرمية الشكل، ويعرف هذا القصر باسم (خاص محل)، و(القصر الملكي)، و(قصر عمود أشوكا)، وتسمية القصر بقصر عمود أشوكا، لأن هذا العمود أحضره فيروز شاه عقب انتصاره بمنطقة الدواب، ويرجع هذا العمود للملك أشوكا (271-231ق.م).

ويتكون هذا القصر من أربعة طوابق بنيت حول كتلة حجرية مرتفعة، فالقاعات والغرف تحيط بالتل في الطابق الأول والثاني، وبعضها محفور بداخله في الطابق الثالث، أما الطابق الرابع، فهو عبارة عن سقيفة على مستوى التلة، فوق قمتها المستوية وحول عمود أشوكا، المنصوب منتصف التلة (احمد، 2008، ص 45-46).

2.1.3 قصر الاستقبالات الرسمية (قصر الصالة المربعة)

ويمثل هذا القصر قصور الاستقبال. يوجد هذا القصر في الجهة الشمالية الغربية من القصر الهرمي، وهو عبارة عن بناء مربع الشكل، طول ضلعه حوالي 50مترًا، وهو يتكون من مربع أوسط محاط بدعائم حجرية من جميع الجهات بواقع ست دعائم في كل ضلع من الأضلاع، وهذا المربع مفتوح على رواق يتلف حوله ومحاط بالأعمدة بواقع ثمانية أعمدة في كل ضلع من الأضلاع، ويفتح هذا الرواق على رواق آخر محاط بجدران المربع الخارجي (الجدران الخارجية)، وكانت تلك الجدران ينبثق منها إلى الداخل أكتاف عددها عشرة أكتاف في كل ضلع من الأضلاع، حيث كانت تحمل تلك الأكتاف سقف القصر، والذي هو في الأصل صالة ضخمة تستخدم للاجتماعات والاستقبالات الرسمية، ومادة

بناء هذا القصر الحجر(احمد، 2006، ص53)، بينما الأعمدة الموجودة بالرواق الأوساط من الرخام.

3.1.3 قصر الماء (قصر الترفيه)

ويعرف سكان دهلي هذا القصر باسم (باولى) أي حوض الماء، وهو مخصص لجلوس السلطان مع آل بيته أو خلصائه، وكبار رجال الدولة في فصل الصيف، حيث الاستمتاع بقربهم من الماء، وهذا القصر عبارة عن مبنى مستدير الشكل، طول قطره حوالي 50مترًا، وإن كان به بروز حوالي ثلاثة أمتار عن قطر الدائرة من الجهة الشمالية، حيث مدخل القصر، ومن الجهة الجنوبية، وهو يتكون من طابقين، ارتفاعه حوالي 12مترًا، يتوسط حوض ماء كبير دائري الشكل، قطره حوالي 30مترًا، يحيط به ممر مسقوف يستند على أعمدة تحيط بحوض الماء. (احمد، 2008، ص 53)

2.3 تشييد القلاع والحصون

تعد العمارة الحربية من أهم فروع العمارة الاسلامية في الهند، وتتمثل في القلاع والحصون التي تميزت بالعديد من العناصر المعمارية والسمات التي اختلفت من عصر إلى عصر، تميزت عن مثيلاتها في الدول الأخرى خصوصا الأبراج والأسوار والمزاغل والسقاطات والشرفات وغيرها من عناصر العمارة الحربية، والتي تميزت بفخامتها وضخامتها، بل وجمالها وأن كانت تتميز بالقسوة والخشونة (احمد، 2008، ص 11).

وقد أعد فيروز شاه تغلق خطة عمرانية لإنشاء عدد من المدن المحصنة في أرجاء سلطنته، لقمع أية اضطرابات وصد أدى هجمات، وزيادة قوة الدولة. فقد بنى إلى جانب قلعة فيرز شاه، حصنا يحمل اسمه في ولاية هانسي غرب دهلي 757هـ/1356م، ومدينة أخرى كبيرة محصنة تحمل اسمه أيضًا على نهر سرستى، وقلعة أخرى بمدينة جونبور (الندوي، 1972، ص 180).

1.2.3قلعة فيروزشاه

تعد قلعة فيروز شاه غلق من أهم الآثار التي تنسب لدولة بني تغلق، تقع القلعة على فرع استحدثه السلطان فيروز شاه تغلق من نهر جمنا[2]، بنيت في عام 755هـ/1354م (blake, 1993, p. 8). وتعد هذه القلعة نموذج جيد للعمارة التغلقية.

عرفت القلعة في المصادر الهندية باسم مدينة فيروز شاه تغلق أو فيرز آباد، وتقع جنوب دهلي، القلعة على شكل مستطيل غير منتظم الأضلاع، أقصى امتداد لها من الشمال إلى الجنوب 800مترًا، ومن الشرق إلى الغرب 400مترًا، يحيط بالقلعة سور مدعم بالأبراج والمزاغل والسقاطات، ارتفاع السور 12مترًا، وللقلعة مدخلان، البوابة الرئيسية من جهة الغرب، والبوابة الثانية في الجهة الجنوبية. وداخل القلعة مسجد كبير، وعدد من القصور والمباني (احمد، 2008،ص 15-20).

2.2.3 قلعة الدويقير

تقع الدويقير في القسم الثالث من مدينة دولة آباد، حيث كانت مدينة مقسمة إلى ثلاثة أقسام، أحدها دولة آباد وهو مختص بسكنى السلطان وعساكره، والقسم الثاني اسمه الكتكة، والقسم الثالث قلعتها التي لا مثيل لها ولا نظير في الحصانة، فهي قطعة من الحجر على بسيط من الأرض وقد نحتت، وبني أعلاها قلعة يصعد إليها بسلم مصنوع من الجلود، ويرفع ليلاً، ويسكن بهذه القلعة الزماميون بأولادهم، وفيها سجن أهل الجرائم العظيمة في جبوب بها (إبن بطوطة، 1997، ص558).

إن المسلمين أحدثوا في ذلك أمورا، وتبعوا الأمم الماضية، وحذوا سن من قبلهم، فجصصوا القبور، وبنوا عليها القباب، وزخرفوا وصرفوا عليها اموال المسلمين بسرف وتبذير، لا غاية وراءه (الندوي، 1972، ص 380). وعن الأتراك أخذ الفرس هذه الروضات أو الأضرحة، ومن ثم انتقلت إلى الهند ضمن ما انتقل إليها من صور الحضارة الإيرانية

[2]- حرص سلاطين الدولة التغليقية على شق الأنهار، فقد اختلج السلطان غياث الدين تغلق مؤسس الدولة أكثر من 50 فرعًا (ترعة) من الأنهار، وتبعه السلطان فيروزشاه تغلق في هذا الأمر حيث حرص على شق العديد من فروع الأنهار، ومنها فرع جمنا إلى قلعته الجديدة. عبد الحي الحسني الندوي: الهند في العهد الإسلامي، المرجع السابق، ص380.

الإسلامية، ولكنهم زادوها فخامة وضخامة حتى أصبحت عنصرًا من عناصر العمارة الإسلامية التي تميزت بها بين الفنون المعمارية في العالم. (مؤنس، 1981، ص255)

لذا حرص ملوك دهلي على إقامة القباب فوق مقابرهم، وهذه الأضرحة تميزت بتنوع طرز تخطيطها، فبعضها عبارة عن بناء مربع يعلوه قبة، وضريح آخر مربع الشكل، ولكن تعلوه قبة من نوع فريد تعرف باسم القبة البنغالية أو القبو البنغالي، وهذا النوع من القباب يتميز بقبة مدببة، وبها استطالة، ولها أكثر من مركز، وينتشر هذا النوع في شمال الهند في إقليم البنغال (أحمد، 2005، ص 30).

والناحية التي تميزت بها العمارة الإسلامية الهندية هي ناحية الروضات أي المدافن، فقد أكثر السلاطين والأمراء منه، وتفننوا فيها، وأنشئوها في الحدائق وعلى ضفاف الأنهار في أوضاع بديعة تروق العين، وتعتبر من بدائع الفن المعماري العالمي، والروضة في الحقيقة مسجد صغير أو مصلي فيه بيت صلاة ومحراب، ومن ثم فهي تدخل في نطاق العمارة الدينية الإسلامية (مؤنس، 1981، ص 88). وسوف نذر نماذج لتلك الأضرحة.

1.3.3 ضريح السلطان المملوكي إيلتمش 633هـ/1235م

يتصل بمسجد قوة الإسلام هذا المسجد صغير يقع إلى شماله هو في الحقيقة روضة أي (ضريح) للسلطان ألتمش وهذا المسجد-الروضة- هو أول المنشآت من نوعه في الهند، وروضه ألتمش مبنى صغير أنيق تقوم فوقه قبة. وهو مبنى كله من الحجر الجيري والرخام، وقبته تقوم على مثلثات كروية غاية في الجمال، والقبة مسدسة الأضلاع وتقوم على رقبة في أربع قمريات (مؤنس، 1981، ص 250). يوجد ضريح السلطان ألتمش بدهلي بمنطقة قطب منار على بعد حوالي150مترًا إلى الشمال الغربي من قطب منار، وقد أنشأه السلطان قبل وفاته بعام واحد. ويتكون الضريح من مساحة مربعة طول ضلعها15مترًا، مغطاة بقبة ولها ثلاثة مداخل محورية، ومحراب في الجهة الرابعة (الغربية) ويتوسط أرضية الضيح تابوت السلطان ألتمش (أحمد، 2005، z 32-33).

وكتب على جوانب القبر من سورة الواقعة بالخط الثلث المنحوت في الحجر بحروف بارزة (والسابقون السابقون أولئك المقربون) وفي الحائط الغربي كتب أعلي المحراب بحروف المرمر (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون)، وفوق محراب آخر كتب (كل من عليها فان)، وعلى الجدران بعض آيات وأذكار مكتوبة بالخط الكوفي (المنعم، 1981،

ص 109)، كما زخرفت الجدران على جانبي دخلات المداخل بزخارف نباتية وهندسية محفورة حفرا دقيقا على الحجر الأحمر، حيث تبدو الجدران من الداخل كلوحة دقيقة متناسقة متناغمة، وتعد من أبدع نماج الفن الإسلامي في بلاد الهند (أحمد، 2005، ص 33)، ويصفه غوستاف لوبون قائلا: (ويعد مزاره الفخم من أشهر مباني دلهي) (لوبون، 2009، ص 221).

2.3.3 ضريح الشاعر أمير خسروا (ق8هـ/14م)

أمير خسروا، هو شيخ الإمام الفاضل (خسروا بن سيف الدين محمود البخاري الدهلوي) أشهر مشاهير الشعراء في الهند، لم يكن له نظير في العلم والمعرفة والشعر والموسيقى وفنون أخرى قبله ولا بعده، ولد سنة احدى خمسين وستمائة في بنيالي، ونشأ بدار الملك دهلي، وتنبل في أيام السلطان (غياث الدين بلبن) (الحسن، 1962، z156-157).

يوجد هذا الضريح بمنطقة نظام الدين بدهلي على بعد حوالي40مترًا إلى الجنوب من ضريح نظام الدين أوليا البدايوني، ويرجع تاريخ إنشاء هذا الضريح إلى عصر السلطان غياث الدين تغلق شاه مؤسس الدولة التغلقية بالهند (720هـ/815هـ)، والضريح عبارة عن مربع طول ضلعه أربعة أمتار، يوجد المدخل في الضلع الجنوبي منه، وعلى جانبيه حاجبان من الرخام المفرغ في زخارف هندسية بديعة، أما الأضلاع الثلاثة الباقية متشابهة، كل ضلع مقسم بالدعائم إلى ثلاثة مناطق مغطاة بأحجبة من الرخام المفرغ في زخارف هندسية بديعة، ويتوسط التابوت أرضية الضريح، ويغطى الضريح قبة عل الطراز البنغالي (سقف بنغالي)، وداخل الضريح بعض آيات القرآن الكريم على التابوت، فضلاً عن وجود كتابات فارسية، عبارة عن أشعار، تنسب إلى الشاعر أمير خسروا (أحمد، 2005، z 38).

3.3.3 ضريح السلطان غياث الدين تغلق شاه (720هـ/1321م-725هـ/1325م)

أنشأ السلطان غياث الدين تغلق، مؤسس الدولة التغلقية في الهند (720هـ/1321: 815هـ/1415م)، في جنوب دهلي قلعة ضخمة سميت باسمه (تغلق آباد)، وبعد وفاته أنشأ ابنه في تلك القلعة روضة لذكرى أبيه، وهي في الحقيقة حصن ذو أسوار عالية، يرتفع فوق الأرض ثلاثة طوابق، وقد أنشئت الروضة 725هـ/1325م، وهي النموذج الذي سيتطور حتى يصل ذروته في صورة روضة (تاج محل).

والروضة عبارة عن مساحة واسعة، يدور حولها سور على ركنيه قبتان، وتنفذ من باب مفتوح في هذا السور إلى مبنى الروضة نفسها، فتجد واجهة رائعة ذات بوابة ضخمة لها ثلاثة أبواب، الأوسط منها ذو عقد مدبب، داخل الروضة ساحة فسيحة، هي في الحقيقة بيت الصلاة، يقوم في وسطه قبر غياث الدين، وعلى أعمدة وسط بيت لصلاة، ويقوم جدار ثان تزينه قباب زخرفية من الخارج، وفوق ذلك كله تقوم القبة الكبرى. والمبنى كله ذو طراز هندي خالص بارتفاعه وتعقيد تركيبه القباب الزخرفية الكثيرة التي تنتشر فوقه محيطة بالقبة الكبرى (مؤنس، 1981،ص 255-256)، وهو مبنى من حمر الحجارة وبيضها، ويسمونها دار الأمان، وهي من أبدع المباني وأحسنها (الندوي، 1972، ص 382).

4.3.3 ضريح محمد شاه بن فريد خان بن خضرخان

محمد شاه بن فريد خان بن خضر خان، وهو السلطان الثالث من أسرة السادات الأشراف، والتي حكمت من (817هـ/1414م:855هـ/1451م)، وقد تولى محمد شاه الحكم مدة عشر سنوات منذ (837هـ/1434م: 847هـ/1443م) بوصيه من عمه مبارك شاه بن خضر خان، خاض خلال تلك الفترة العديد من الصراعات والحروب (الهروي نظام الدين، 1995، ص 183).

تم إنشاء الضريح أثناء فترة حكم السلطان محمد شاه، فيما بين عامي (1434، 1444م). يتكون الضريح من بناء مثمن، أي أن للضريح ثماني وجهات، وبالضريح غرفة مثمنة الشكل أيضًا، وداخل الغرفة تسع توابيت حجرية منسقة بأسلوب فيه تماثل، وهذه التوابيت خالية من الكتابات والزخارف باستثناء بعض الجمل (لا اله الا الله محمد رسول الله) على عقود الأبواب من الداخل، وجدران الضريح خالية من الكتابات (أحمد، 2005، ص 44-45).

5.3.3ضريح باراجومباد

باراجومباد تعنى باللغة الهندية المقابر الأحد عشر، ولعل هذا الضريح قد دفن به أحد عشر شخصًا من عائلة واحدة، لذا سمى بهذا الاسم. يوجد الضريح بدهلي وبجوار مسجد معروف بنفس الاسم، ويرجعان معًا لمنشئ واحد، ويوجد الضريح وسط مجموعة كبيرة من الآثار التي ترجع إلى عصر بني لودي، وخاصة السلطان إسكندر لودي، والذي توجد مقبرته بالقرب من هذا الضريح (المنعم، 1981، ص 149).

والضريح والمسجد الملاصق له لأحد أفراد بني لودي غير معروف اسمه، ولكن تاريخ إنشاء الضريح مثبت عليه، وهو سنة 900هـ/1494م، وهذا التاريخ يقع في فترة حكم السلطان إسكندر لودي (894هـ/1488م: 923هـ/1517م)، والذي توجد مقبرته بالقرب من هذا الضريح، مما دل على أنه لأحد الأفراد المقربين إليه، ليسمح له بالبناء في هذه المنطقة الخاصة بمدافن بني لودى.

والضريح عبارة عن بناء مربع طول ضلعه 24مترًا من الخارج، وارتفاعه بما في ذلك القبة 28مترًا تقريبًا، وللضريح أربع وجهات متشابهة، ولا يشتمل الضريح على محراب، وذلك لأنه ملاصق للمسجد الذي يحمل نفس الاسم، حيث أن الضريح والمسجد كأنهما بناء واحد.

6.3.3 ضريح إسكندر لودي (894هـ/1488م: 923هـ/1517م)

إسكندر شاه اللودي، هو ثاني حكام الأسرة الودية، تولى الحكم بعد أبيه بهلول لودى مؤسس هذه الأسرة، ونظام خان الذي لقب نفسه إسكندر شاه الودي، وهو مؤسس هذا الضريح. ضريح إسكندر لودي موجود بدهلي بالقرب من ضريح شاه وضريح باراجومباد سالفي الذكر. الضريح عبارة عن غرفة مثمنة، يحيط بها رواق من كل الجهات، يتكون من قباب ضحلة عددها ثلاث قباب أما كل ضلع، فهو يشبه ضريح السلطان محمد شاه، ويغطى الضريح قبة ضخمة.

ومبنى الضريح يوجد داخل حصن مربع، ومحاط بالأسوار، وفي زواياه الأربع أبراج أربعة. ومداخل الضريح من الداخل مزخرفة من أعلى بالفسيفساء الخزفية الملونة: الخضراء والزرقاء والصفراء والسوداء، كما توجد زخارف هندسية ونباتية ملبسة على الحجر، ويتوسط أرضية الضريح تابوت كبير مستطيل من الحجر، ارتفاعه متران، وطوله 4أمتار، وعرضه متران، وهو خال من الزخارف (أحمد، 2005، ص 47-48).

خاتمة

في الاخير نقول ان سلاطين مماليك الهند لعبوا دورا هاما وكبيرا في ازدهار العمارة الاسلامية، وكذلك ساهمت هاته العمارة الاسلامية في ترسيخ الثقافة العربية الاسلامية، وفي هذا العنوان ابرزت اهتمام واسهامات سلاطين دلهي في انشاء المدن والقلاع والمحلات والاحواض والطرق والحمامات والاسواق من خلال الاعمال الخيرية الاسلامية، وبينت

كذلك هاته الدراسة دور المنشآت الدينية الاسلامية في نشر الاسلام والثقافة الاسلامية في ربوع الهند، مشيرة الى دور المساجد والروضات والزوايا والمدارس التي قام بإنشائها سلاطين الهند في عصورهم المختلفة، في نشر الفكر الاسلامي في المدن والقرى مبينة تأثير المنشآت الدينية الاسلامية في المنشآت الدينية الهندوسية، عارضة لدور الصوفية في تقريب غير المسلمين الى الزوايا والخانقاوات وتلقين الفكر الاسلامي.

ومن خلال كل هذا نقول بأن العمارة الهندية الاسلامية لعبت دورا بارزا في نشر وتوسيع رقعة الديانة الاسلامية في شبه القارة الهندية ككل وهو المغزى من هذا المقال الذي ابزرت فيه بعض النماذج من هاته العمائر. وهنا انبه لشيء الا وهو انا مجال العمارة في شبه القارة الهندية التي كانت لها دور في ابراز الثقافة الاسلامية يبقى موضوع مفتوح لمزيدا من البحوث في هذا السياق. وفسرت هاته الدراسة دور كل من المساجد والروضات والزوايا والمدارس، التي قام بإنشائها سلاطين دهلي في عصورهم المختلفة، في نشر الفكر الاسلامي في المدن والقرى، مبينة تأثير المنشآت الاسلامية في المنشآت الهندوسية، وفي الفكر والعقيدة الهندوسية.

المصادر والمراجع

1. أحمد بخشي الهروي نظام الدين، 1995. طبقات أكبري، المسلمون في الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني، ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلي ج1، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة.
2. احمد رجب محمد علي، 2006. تاريخ وعمارة الدور والقصور والاستراحات والحمامات الأثرية في الهند، ج3، الدر المصرية اللبنانية، القاهرة.
3. حسين مؤنس، 1981. المساج، عالم المعرفة، الكويت.
4. رجب محمد علي احمد، 1997. تاريخ وعمارة المساجد الاثرية في الهند، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة:
5. رجب محمد علي أحمد، 2005. تاريخ وعمارة المزارات والاضرحة الأثرية الإسلامية في الهند، ج2، الدر المصرية اللبنانية، القاهرة.
6. رجب محمد علي احمد، 2006. تاريخ وعمارة الدور والقصور والاستراحات والحمامات الاثرية في الهند، ج3، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

7. رجب محمد علي احمد، 2008. قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية في الهند، ج4. الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

8. السيد طه ابو سديره، 2009. تاريخ الإسلام في شبه القارة الهندية من الفتح العربي إلى الغزو التيموري المغولي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

9. عبد الله شيحه مصطفى، 1998. الآثار الإسلامية في مصر من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي. مصر: دار المعارف.

10. العتيبي، 1869. تاريخ اليميني المسمى بالفتح الوهب، المطبعة الوهابية، القاهرة.

11. غوستاف لوبون، 2009. حضارة الهند، ترجمة عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة.

12. محمد بن عبد الله ابن بطوطة، 1997. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار، ترجمة عبد الهادي التازي، الرباط.

13. محمود الساداتي أحمد، 1957. تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج1، مكتبة الآداب، مصر

14. الندوي، 1972. الهند في العهد الاسلامي، دار المعارف العثمانية، القاهرة.

15. الندوي الحسن، 1962. نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، " الإعلام بمن في تاريخ الهند من أعلام"ج2، دائرة المعار العثمانية، القاهرة.

16. النمر عبد المنعم، 1981. تاريخ الاسلام في الهند، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

17. القزويني، (د.ت). اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر. بيروت.

18. ابن بطوطة، 1997. تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، ج 2، دار إحياء العلوم، بيروت،

19. جمال الدين السيد، 2004. صناعة العمارة الهندية الإسلامية "هدفها وأسلوبها وجمالها " مجلة ثقافة الهند، المجلد64، العدد 4، المجلس الهندي للثقافات الاسلامية، نيودلهي، ص 130.

20. Anc-poole S., 1903. *The story of the nation "medieval India under Mohammed a rule 712-1764*. New York: G. P. Putnam.

21. P. Blake S., 1993. *Shahjanabad the soverign city in Mughal India 1639-1739*. New Delhi: Cambridge.